في التعريف به وبمولده
وأبويه ونسبه وعشيرته الأقربين إليه ونشأته
وبدايته ومجاهداته ، وأخذ طريق رشده وهدايته

وفيه ثلاث فصول :

في التعريف به وبمولده وأبويه
ونسبه وعشيرته الأقربين إليه فأقول وبالله التوفيق

هو رضي الله عنه من العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، وممن جمع شرف الجرثومة والدين، وشرف العلم والعمل والأحوال الربانية الشريفة، والمقامات العلية والهمة العالية السماوية، والأخلاق الزكية الرحمانية والطريقة السنية، والعلم اللدني والسر الرباني النافذ التام والخوارق العظام والكرامات الجسام، القطب الجامع، والغوث النافع، الوارث الرحماني، والإمام الرباني، من أقامه الله في وقته رحمة بالعباد، وبركة ونوراً في البلاد موقع نظره من خلقه وخزانة سره ومظهر نفوذ تصرفه، ومنبع مدده فياض المدد والإمداد، كثير النفع للعباد، عنده الكيمياء الخاصة التي تقلب الأعيان، وتحيل نحاس النفوس إبريزاً في أقرب زمان، فيصير ظلامها نوراً، وحزنها سروراً، وتميط خبث شهواتها وتلطف كثافتها، فانتفع به جل العباد في أقطار البلاد بمدده الرباني، وسروده الشريف المحمدي الصمداني، من غير مجاهدة ولا تعب بمحض فيضه وفضله الرحماني، القدوة الهمام مصباح الزمان وعين الأعيان، العارف الكامل المحقق الواصل العالم بالله، الناصر لسنة رسول الله، ذو السيرة النبوية والأخلاق المحمدية، بحر التوحيد ومعدن التفريد، الوارث الجامع المربي النافع الدال على الله بحاله ومقاله، الداعي إليه بإذنه بخلاله وفعاله، صدر الصدور الفياض النور ذو الآيات الظاهرة والكرامات الباهرة الحجة، الأعمد شهاب الدين سيدنا أبو العباس أحمد، **ولد رضي الله عنه** سنة خمسين ومائة وألف بقرية عين ماضي، ونشأ بها في عفاف وأمانة، وحفظ وصيانة، وتقى وديانة، محفوظاً بحفظ الله سبحانه، محروساً بالعناية محفوظاً بالرعاية، كريم الأخلاق والخلال، طيب النفس والفعال، كثير الحياء والأدب، جميل المراقبة والطلب، مقبلاً على الجد والاجتهاد، مائلاً إلى الرشد والانفراد، متطلباً للدين وسنن المهتدين، مشتغلاً بالقراءة معتاداً للتلاوة حسن السمت، طويل الصمت كثير الوقار والحياء، حسن الخلق والخلق، عالي الهمة متواضعاً، معظماً عند الحاجة والعامة، حفظ القرآن العظيم في صغره حفظاً جيداً في سبعة أعوام، على ما أخبر عن نفسه رضي الله عنه، من رواية نافع على الشيخ، العالم الصالح الأستاذ أبي عبد الله سيدي محمد بن حمو التجاني، وقرأ هو رضي الله عنه، على شيخه سيدي عيسى بعكاز المضاوي التجاني، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً بالولاية، وكان مؤدباً للصبيان أيضاً بالقرية المذكورة، وقد ذُكِرَ أنه رأى رب العزة في النوم وقرأ عليه القرآن، برواية ورش من أوله إلى آخره، فقال له ربه: هكذا أنزل وحصل على يديه النفع في قراءة القرآن، **وتوفي** سيدي محمد بن حمو عام اثنين وستين ومائة وألف، ثم بعد حفظه القرآن اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفروعية والأدبية حتى رأس فيها، وحصل معانيها، فقرأ على شيخه العالم العلامة العارف بالله الدراكة سيدي المبروك ابن بعافية المضاوي التجاني، قرأ عليه مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري، ثم تمادى في طلب العلم زماناً ببلده حتى حصل من العلوم ما انتفع به، وكان يدرس ويفتي، ثم مال رضي الله عنه إلى طريق الصوفية والمباحثة على الأسرار الإلهية حتى تبحر في فهم علومها والأحوال والمقامات والعلل، والوقت والحال، وله أجوبة في فنون العلوم فأبدى فيها، وأعاد وحرر المعقول والمنقول، وأفاد ثم اشتغل بالطاعة وحببت إليه العبادة، وتاقت همته بالزهادة، فكان يكثر القيام في الليالي المتطاولة، حتى إذا بلغ الأشد أشده الله تعالى بسابق عنايته لما أراد به من كرامته، فصار رضي الله عنه يدل على الله وينصح عباد الله، وينصر سنة رسول الله، ويحيي أمور الدين وقلوب المؤمنين بما منحه الله من المعارف والأسرار والبركات والأنوار، فأحيا الله به البلاد ونفع به الحاضر والباد، وانتشرت على يديه أمور السنة المدنية، وأشرقت آياته المبينة فهو رضي الله عنه قوي الظاهر والباطن، كامل الأنوار والمحاسن، على المقام راسخ التمكين والمرام، متصفاً بكمال الإرث من رسول الله ﷺ، بهيّ المنظر جميل

المظهر، منور الشيبة عظيم الهيبة، جليل القدر شهير الذكر، ذو صيت بعيد، وعلم وحال مفيد، وكلمة نافذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عائدة وإظهار السنة وإخماد البدعة، يضرب به وبداره المثل في إحياء السنة واتباع الدين، فهو جدير بأن يلقب بمحيي الدين، صاحب وقته وفريد عصره، وقد أحيا الله به سنن مغربنا بعد دروس آثارها، وخمود أنوارها، فانتشر به اللهج والفقر بذكر الله والصلاة على رسول الله نسأل الله تعالى أن ينظمنا في سلكه وفي دائرة حزبه بجاه حبيبه ونبيه سيدنا محمد وآله وصحبه، **وأبوه رضي الله عنه** هو الشيخ الإمام كهف الإسلام وملاذ الأنام العالم الشهير الورع الكبير الدال على الله والجامع عليه والداعي بحاله ومقاله إليه حجة العلماء العاملين، ومحجة السالكين المسترشدين: أبو عبد الله، سيدي محمد بالفتح ابن المختار، وكان عالماً ورعاً متبعاً للسنة، مدرساً ذاكراً، وكانت تأتيه الروحانية، يطلبون منه قضاء حوائجه، فكان يمتنع منهم ويقول اتركوني، بيني وبين الله لا حاجة لي بالتعلق بسوى الله تعالى. كان متعلقاً بالله، قائماً بالحق لله في سائر حركاته وسكناته، لا تأخذه لومة لائم في الله، وكان له بيت في داره لا يدخله أحد لذكر الله، **توفي رضي الله عنه**: سنة ست وستين ومائة، وألف بالطاعون رحمة الله تعالى عليه، **وأمه رضي الله عنها**: هي السيدة الفاضلة الزكية الكاملة الطيبة المطهرة، الخيرة المنورة، ذات الأخلاق الكريمة والسيرة المستقيمة، معنية بأمر الدين ماسكة بحبله المتين، لها من الصلاح مكانة علية ومرتبة سنية، وحظ عظيم من البر والإحسان، والتفضل والامتنان، فكانت رحمها الله كثيرة الإرضاء والبرور لوالده مع سعيها المشكور، بالغة في ذلك الغاية وواصلة فيه حد النهاية، قائمة بأداء حقوق بعلها، الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، مطيعة لأمره وكلامه، شديدة الاعتناء بشأنه ومرامه، تتحرى مراده، وتهتم بما أراده، تجل قدره وتعظم أمره، وتراعي فيه حق مولاه، وما حق له وأولاده، قوالة للحق، ناصحة للخلق، محافظة على الدين وسنن المتقين، تحمل أولادها وأقاربها عليه، وترشدهم بالتي هي أحسن عليه، كثيرة النصح لهم، والرحمة بهم، كثيرة الأذكار والصلاة على النبي المختار، مواظبة عليها آناء الليل والنهار، ووالى عليها من رحمة العزيز الغفار، رضي الله تعالى عنها وأرضاها، وجعل الجنة مثواها ومأواها، هي الحرة النفيسة السيدة: عائشة بنت السيد الأثيل الولي الجليل ذي البركة الغزيرة والأنوار، أسكنه الله مع الأبرار، ووالى عليه المنة والرضوان: أبي عبد الله سيدي محمد بالرفع ابن السنوسي التجاني المضاوي، وتوفيت رضي الله تعالى عنها في يوم واحد مع زوجها بالطاعون، ودفنا معاً بعين ماضي بالتاريخ المذكور، ولهما رضي الله تعالى عنهما أولاد غير سيدنا رضي الله عنه ذكوراً وإناثاً، وماتوا كلهم رحمهم الله، فلم يترك منهم إلا سيدي محمد ولداً، وبنتاً فحازهما سيدنا رضي الله تعالى عنه.

وأما نسبه رضي الله تعالى عنه: فجده لأبيه، رضي الله تعالى عنه، هو السيد الأصيل النزيه الجليل، ذو المروءة والصيانة، والحسب والمكانة، والديانة والأمانة، سيدي المختار بن أحمد، كان رحمه الله زكياً خيراً مرضياً، جواداً فاضلاً وفياً كاملاً، عالي الهمة ونبيه الشأن، من أكابر الأعيان وأفاضل الزمان، يصل الرحم والأقارب، ويواسي الجيران والأجانب، كثير السخاء، شديد الحياء، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة مأواه، **وأما جده الثالث**: فهو السيد الأصيل النزيه الجليل، العلامة الحفيل، عالم العلماء وأمير الأمراء، جليل القدر عظيم الخطر، صاحب الحال القوي، والمدد الروي، والنور السني والهدى المبين، والحزم المتين، والبصيرة الصحيحة، والأقوال الصريحة، والهيبة والوقار، والإجلال والإكبار، الزاهد الورع، الناصح المتبع: أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بالفتح. **ورابع الأجداد لسيدنا رضي الله تعالى عنه**: هو الشيخ الولي المكين العلي، ذو النور اللائح، والجذب الواضح، والمحبة الصادقة والهمة السابقة، والتوكل على الله، والرضا عن الله، والنهي القويم والخلق الكريم، وقد حكي عنه رضي الله تعالى عنه: أنه كان له بيت في داره لم يدخله أحد غيره، وكان إذا خرج من داره للمسجد يتبرقع ولا يرى أحد وجهه، ولا يكشف عن وجهه إلا إذا دخل المسجد، ثم إذا رجع إلى داره، عاد إلى ستر وجهه حتى يدخل لخلوته، وقد سألت الشيخ رضي الله تعالى عنه عن سبب ستر وجهه عن الناس، فأجاب رضي الله عنه بقوله: لعله بلغ مرتبة في الولاية، فإن من بلغها يصير كل من رأى وجهه لا يقدر على مفارقته طرفة عين، وإن فارقه وتحجب عنه مات لحينه، وهو ممن أدرك هذا السر، وهو اثنان وسبعون علماً من العلوم المحمدية، ومكث فيها ثلاثة وعشرين سنة، يستر وجهه عن الناس للعلة المذكورة.

قلت: لسيدنا رضي الله عنه هذه المرتبة: هل هي خاصة بمفاتيح الكنوز، أو يشاركهم فيها غيرهم؟ قال رضي

الله عنه: بل هذه الحالة المذكورة لغيرهم من العارفين، وأما القطب ومفاتيح الكنوز فلا يستترون لكمالهم، ولعل السيد المذكور أدرك هذه المرتبة، فكانت هي سبب ستر وجهه عن الناس، وهذا السيد رضي الله تعالى عنه، هو الذي وفد أولاً لعين ماضي، وتوطن بها، وبنى وتزوج منهم، فكانوا أخوالاً لسيدنا، رضي الله تعالى عنه، ولهذا ينتسبون للتجانية، وليس لهم نسب لأهل عين ماضي، بل غلبت عليهم الكنية والشهرة لأجل مصاهرتهم لهم، **وأما نسبه رضي الله تعالى عنه: فهو شريف محقق**، ويرفع نسبه إلى مولانا محمد الملقب بالنفس الزكية، ابن مولانا الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن مولانا علي رضي الله عنهم، ونسبه رضي الله عنه مذكور في رسمهم عند أوائلهم، فلم يلتفت سيدنا لذلك لما هو عليه من الجد والاجتهاد، ولم يكتف بما هو مذكور من الآباء والأجداد، والرسوم وأخبار الأعيان والآحاد، حتى سأل سيد الوجود وعلم الشهود، صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، في كل نفس مشهود عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد ومن الآل والأحفاد؟ فأجابه ﷺ بقوله: أنت ولدي حقاً، أنت ولدي حقاً أنت ولدي حقاً. كررها ﷺ ثلاثاً.

وقال له ﷺ: نسبك إلى الحسن بن علي صحيح: وهذا السؤال من سيدنا رضي الله تعالى عنه لسيد الوجود يقظة لا مناماً، وبشره ﷺ بأمور عظام جسام ﷺ، وشرف وكرم ومجد وعظم. **وأما عشيرته الأقربون إليه: فهم أولاد** الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه وهما: سيدي محمد المكنى بابن عمر، كان حافظاً للقرآن العزيز، ومشاركاً في علوم الشريعة، مبالغاً في علوم الفرائض والحساب، فمات رحمه الله بعين ماضي، وأخته وشقيقته السيدة رقية رضي الله عنها فكانت أكبر سناً من سيدنا رضي الله عنه، وكانت تأتيه إلى منزله، ويكرمها ويواسيها ويرضيها، حتى يبعثها لمكانها عين ماضي، فماتت وتركت ولداً اسمه عبد الله، حافظاً للقرآن ومشاركاً في بعض العلوم، وله باع في علم الحساب، وهو أصحاب سيدنا وأخذ عنه، وهو الآن بقيد الحياة بعين ماضي، فهؤلاء المعروفون عندنا من عشيرة شيخنا رضي الله تعالى عنه، ماتت رحمة الله عليها. **وبالجملة** فكل أولاد سيدي محمد رضي الله تعالى عنه نشئوا على أحسن حال وأكرم فعال وأطيب خليقة وأمثل طريقة، ذاهبون على مقتضى تربيته رضي الله عنه، من الخروج عن العوائد والمألوفات والزوائد والتكلفات، والتواضع في أنفسهم ورفع الهمة عن أبناء جنسهم، قد أخذوا بأشياء من سيرة والدهم، وتخلقوا بها، ودرسوا على سننها، وتحققوا بها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] والله تعالى يجازي العباد على قدر أعمالهم ونياتهم، زادهم الله من فضله، وكان لهم بمنه وطوله.

في نشأته وبدايته ومجاهدته

ولد رضي الله عنه سنة خمسين ومائة وألف على ما حدّثني هو بنفسه، رضي الله عنه بعين ماضي، وهي بلده ومقر أسلافه، رضي الله عنه وعنهم على ما تقدّم في الفصل الأول، وهو أوسط الأبناء لأمه وأبيه، والآخذ كل ما لهم من الفخار والتنزيه، وخاتمة مجدهم، وواسطة عقدهم الذي شرف به طالعهم السعيد، واستمر به مددهم المديد، ختم الله به من نظامهم سلكاً، وجعل ختامه مسكاً، **نشأ رضي الله عنه** بين أبويه الصالحين المتقدمين نشأة صالحة، يؤدبانه ويربيانه ويلقنانه تربية أمثالهما من أهل البصائر، فربي في عفاف وصيانة وتقى وديانة، أبي النفس عالي الهمة زكي الأخلاق محروساً بالعناية محفوظاً بالرعاية، فكان رضي الله عنه لا يعرف ما الناس فيه من العوائد، ولا ما نشئوا عنه من الزوائد، وكان رضي الله عنه من صباه ماضي العزم شديد الحزم فيما يتعاطاه من أموره كلها، لا يريد أمراً إلا بدأه، ولا يبتدئ شيئاً إلا أتمه، وإذا تعلقت همته بشيء من الأشياء، كائناً ما كان، لم يهنأ له عيش، ولم يقر له قرار حتى يصله ويجاوزه، **وسمعته** يوماً يقول: من طبعي أني إذا ابتدأت شيئاً لا أرجع عنه، وما شرعت في أمر قط إلا أتممته، تجنح همته إلى معالي الأمور، ولا يرضى بسفسافها فكان كما قيل:

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن ... إليه بوجه آخر الدّهر تقبل

فله رضي الله عنه همة سابقة، وعزمة لاحقة، تأبى نفسه أن يفوته مدرك من المدارك، أو يضل مسلكاً من المسالك، ذو شجاعة طبعية ونجدة قوية، ومن خلقه الّذي ربي عليه السخاء العظيم والإنفاق الجسيم، والقيام بحقوق أقاربه وذويه، والمواساة لمعارفه ومواليه، والإحسان للمساكين، والتحبب لأهل الدين، وصار له العفاف وعلو الهمة خلقاً، ومكارم الأخلاق طبعاً وتحققاً، لا يقر الدرهم لديه قراراً، ولا يمكث عنده على الدوام استمراراً كما قيل:

لا يألف الدرهم المضروب صرته ... لكن يمر عليها وهو منطلق

وسيأتي الكلام على سخائه وبيان حاله في محاله إن شاء الله.

وصفة ذاته الكريمة وصورة شكله الفخيمة، يتميز بوجوده العياني، كما يتميز بوصفه أنه، حفظه الله تعالى وكلاءه، أبيض مشرب بحمرة، معتدل القامة منور الشيبة، ذو صوت جهوري وسمت بهي، وقدر عليٍّ، حلو المنطق، فصيح اللسان، يعبر عن مراده في غاية البيان، وهو من حفاظ أهل زمانه لما يتعاطاه، ومن العلوم في أوانه أحسنهم مجالسة وأرفعهم مجانسة، ذو مهابة وعظمة ووقار وحياء وجلالة وفخار، وله رضي الله عنه منذ شب عقل نام وذكاء قوي وفهم نافذ وفطنة سرية وفكرة قوية، لا يفوته إدراك معنى من المعاني لما انقدح في سره من النور الرباني، ولا يخدع في شيء منذ كان، ولا يعوزه أمر من الأمور مما يكون، يدرك ما أراد إذا توجه إليه دون تعلم لقوة الذكاء وشدة التفهم، يشهد أن له ذلك في أصل فطرته وقوة إدراكه وميزه، مما يبهر العقول، ويخرج عن حد المقول، وشرح ما يؤذن بذلك يطول، وإذا أراد الله تأهيل عبد هيأه لما خلق لأجله من إرادة خصوصيته، وفضله وأكمل سجاياه، وخلقه، ثم أظهر مزاياه وفخره، فيكمل له عقل التمييز، فيتهيأ به إلى عقل التخصيص والتبريز، والأوليات إشارة للأخريات، والبدايات عنوان النهايات، ولما بلغ الحلم، رضي الله عنه، زوّجه والده الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه، من غير تراخ في ذلك اعتناء بشأنه وحفظاً له وصوناً لأمره، مراعاة للسنة من المبادرة في ذلك، وكان تزويجه رضي الله عنه سنة، فبقي في حجر والده إلى أن توفي والده رحمة الله عليه، فنال منه بركة وحظاً وافراً من الصلاح والدين وفوائد في الطريق، وجملاً من الأدب رضي الله عنهما آمين. **وأما بدايته** رضي الله عنه في الطريق وكيفية أخذه إياها على التحقيق، فإنه لما توفي والده رحمه الله تعالى، بقي على حاله من قراءة العلم وتدريسه، والتقاط دره وتدوينه في بلده عين ماضي ثم ارتحل إلى ناحية المغرب لفاس، وأحرازها سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، سمع فيها شيئاً من الحديث، وبقي يجول بقصد الزيارة والبحث عن أهل الخير والصلاح والدين والفلاح،

فلقي رجلاً بجبل الزبيب من أهل الكشف، فأشار له بالرجوع إلى بلده وأخبره بأنه سيكون من أمره ما هو بصدده، فلم يلبث حتى رجع لبلده سريعاً، وخرج قاصداً البلد الأبيض في ناحية الصحراء التي بها ضريح الولي الكبير والقطب الشهير سيدي عبد القادر بن محمد الملقب بسيدي الشيخ، فمكث هناك خمسة أعوام للقراءة والعبادة والتدريس والتلاوة، وفي هذه المدة وصل إلى بلده عين ماضي تصديقاً لما أخبره به الولي المتقدم ورجع إلى مكانه بزاوية الشيخ المذكور، ثم ارتحل منها إلى تلمسان، وأقام بها للزهادة والعبادة والتدريس لعلم الحديث والتفسير والإفادة، حتى ألهم سيدنا ما ألهم، ووقر في صدره ما وقر، وظهر له ما ظهر مع ما أهله الله إليه بسابق عنايته، وفيض كرامته، فنض يديه مما لديه، وتعلقت همته العلية بالله، والانحياش إليه والوقوف ببابه والعكوف عليه، فجرّد نفسه من العلائق تجريداً، وقطعها عن العلائق تغريداً، ولبس من جديد التوبة جلباباً وشمر عن ساعد الجد أثواباً ففتح الله عليه للمسير أبواباً وأزال عنه مانعاً وحجاباً، فأكب على شأنه إكباباً، وانصب إليه انصباباً، وانحاش بكليته إليه، واقبل بقلبه وقالبه عليه، ونبذ كل أمر دونه، من خلف أوائل سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، فانجمع على الله في حاله، وجدد في سيره وترحاله، وسلب له الإرادة، وألقى إليه قياده ومحافي مراده مراده، فلزم اللجأ والعكوف ببابه، وجمع فيه كل بغيته ومرامه، وأقبل على الذكر وأعمال الفكر، وآوى إلى الخلوات والعبادة والقربات، فلاحت عليه مبادئ الفتح وبوارقه، وظهرت عليه خوارق العادات في مبادئه، ثم لم يزل حاله يقوى ويزداد حتى خرج عن كل مألوف ومعتاد ومستحسن ومراد، ولم يبق له شهوة تشغله عن المراد، واستوحش من الخلق، وانقطع عنهم للملك الحق، وتوجه تلقاءه، ونبذ السوا وراءه، فلم يزل يرتقي بهمته، ومولاه يجذبه لحضرته، ويحفه بعنايته وفضله وكرامته، إلى أن بلغ المراتب العالية والمقامات السامية، ووصل إلى المنية والمشتهى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

ومن عظيم أدبه: لشهود فضل سيده ومنه، أنه لما اعتراه من الأحوال ما اعتراه، ونزل به ما اقتطعه عن نفسه وهواه، وظهر عليه أثر الفيضان، وجرح منه على المنطق واللسان ما أشرق به باطنه من التوحيد والعرفان، فكان يفتتن به كل من رآه لما يشاهد من طلعته البهية وسناه، فيأخذ بمجامع قلبه وعقله ولبه، ولا يجد بداً عند خطابه من التأدب إلى جنابه، فلما أحس بظهور ذلك من الإخوان والأصحاب الذين هنالك نهى وزجر، وشرد ونفر، وغضب غضباً شديداً، وتولى عنهم شريداً، وكانت تأتيه الوفود للزيارة، والأخذ عنه والإفادة، فكان يمتنع من ذلك كل الامتناع، ويقول: كلنا واحد في الانتفاع، فلا فضل لأحد على الآخر في دعوة المشيخة إلا سوء الابتداع، فلما حاز قصب السبق في كل فضيلة، وتحلى ظاهراً وباطناً بالحلل الجليلة، ولم يبق له من متمناه بين الأنام، إلا الحج لبيت الله الحرام، سمت همته إلى طلبه وتحصيل إربه، وكان دائماً يرصد إبانه ووقته وأوانه، إلى أن أتى فقام على ساق الجد والتشمير، ونهضت به همته للمسير، فأخذ رضي الله عنه في التأهب والرحيل، وخلف العشائر والقبيل، فما قر له إذ ذاك قرار إلى أن حج، وزار وتردد بين الديار، واستلم بين الأماكن والآثار، فكان خروجه من مدينة تلمسان سنة ست وثمانين ومائة وألف، **وأما مجاهداته رضي الله عنه:** فاعلم أنه لا خلاف بين أئمة العصر، ومن أدركه من حال الشبيبة، أنه كان من المصطفين من عباد الله، وممن نشأ في طاعة الله وممن هدى واجتبى إلى صراط الله، فهو رضي الله عنه من المجتهدين في الدين، والخائفين من رب العالمين، محافظاً على التقوى والورع، باذلاً مجهوده في ذلك، قابضاً عنان الخوض عما لا يعنيه، سالكاً أشرف المسالك، إلا أنه بعدما شب وترعرع، وتضاعف نور قلبه، وجاءه الفتح المبين من ربه، وارتفع وقاده التوفيق الرباني إلى البحث عن السر الإلهي الصمداني، فاشتغل بمطالعة كتب القوم، وبالانكباب عليها والتدريس للعلوم والإفادة بها، حتى انقطع إلى الله، وتاقت همته بالله، فرفض جميع العلائق ونبذ من ورائه أنواع العوائق، فزاده ذلك نوراً على نور، وارتقى بشهوده مرتبة أرباب الصدور، فقد أتى رضي الله عنه البيوت من أبوابها، وأخذ الطريقة عن أربابها، فاستوجب بذلك الوراثة والإمامة، فلم يتقدم في عصره أحد أمامه كما قيل:

فأصبح عين الوقت والقول قوله ولا أحد في الناس يبلغ قدره

أخذ رضي الله عنه في الجد والتشمير، والاعتزال عن الخلق والفرار منهم، واشتغل بما يخصه من حقوق ربه، وما هو مطالب به من التقوى والورع، وكان الناس يأتونه في بعض الأحيان للزيارة، فلا يجدون فيه متسعاً لكثرة ما كان فيه من القبض، وإذا جاءه أحد ليقبل يديه يغضبه، ويأبى ذلك، وكان رضي الله تعالى عنه يكره كثرة الكلام، شديد التحفظ من الغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعني، **وأما مجاهدته في الصيام،** فكان يصوم في ابتداء أمره،

ويسرد الصيام الأيام المتطاولة لديه، وأما قيام الليل فهو مواظب عليه السنين الكثيرة، ولا زال إلى الآن، ولم تكن له راحة إلا فيه، فهو مستراح العابدين، إذ فيه يجدون قلوبهم من التلذذ بالمناجاة وإسبال العبرات في محراب التلاوات، وهو يعلم ويتحقق رضي الله عنه، أن أوقاته عمره وعمره رأس ماله، وعليه تجارته، وبه يصل إلى نعيم الأبد، ويرى أنفاسه جواهر لا قيمة لها، فشح بها أن تمضي من غير ما خلقت له، فاشتغل بالمبادرة، السباق السباق قولاً وفعلاً، حذر النفس، حسرة المسبوق واستدامة الطاعات، وبذل المجهول فيما لا يصدر إلاّ ممن أقيم في شهود باريها ومنشيها، فالذين اصطفاهم الله لخدمته، ونور بواطنهم بأنوار معرفته، قويت قلوبهم، وبادر وأقبل الفوات، وسارعوا إلى ما ندبهم إليه سيدهم، فهم ملازمون مستسلمون، يسبحون الليل والنهار، لا يفترون ليس لهم فضيلة فيما أمروا به، علموا أنهم بمرأى من سيدهم، فشدوا الحيازم، واشتغلوا بما هو لازم، **وأقول:** إنه رضي الله عنه، من الّذين كانت عندهم كل اللّيالي ليلة القدر، إذ هو رضي الله عنه، من القائمين بحدود الله، الناظرين للشريعة بنور الله، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وماذا يقول الإنسان: فيمن تولاه الله واصطفاه، وحلاه بنعوته واجتباه، وخصصه بمعرفته، وارتضاه، فالمدح يقصر دونه، إذ هو أرفع من أن يصفه اللسان، أو يعبر عن حقيقته الفكر والجنان، وما الأمر إلا كما قال قائلهم:

ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصا والكواكب

ومن كملت أوصافه، وحسنت أفعاله، وعظم انصافه، استوحش من كل شيء سواه، ولم يشاهد في المملكة إلّا إياه، وأنشدوا:

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتي
وإن خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردتي

وعلى هذا حوّم العارفون، رضي الله عنهم، وانتهزوا فيه الفرصة، وبذلوا في ذلك مهجهم، ولم يتركوا لها حصة. عرفوا ما طلبوا، فهان عليهم ما تركوا، ومن طلب الحسناء لم يغله مهرها، ولقد أبلغ في النصيحة من أنذر، وحذر عليه الصلاة والسلام، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أيُها النّاس بَسِيطُ الأمَلِ مُتَقَدِمُ حُلُولِ الأجَلِ والمَعَادِ مِضْمَارُ العَمَلِ فَمُغْتَبِطٌ بِمَا اجْتَنَبَ غَانِمٌ ومُبْتَئِسٌ بِمَا فَاتَهُ مِنَ العَمَلِ نَادِمٌ أيُها النّاسِ إنَّ الطَّمَعَ فَقْرٌ واليأسُ غِنى، والقَنَاعةُ راحةٌ، والعِزْلَةُ عِبَادَةٌ، والعَمَلُ كَنْزٌ»** والدّنيا معدن، والله ما يسرني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بردي هذا، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء، وكل إلى نفاد وشيك وزوال قريب، فبادروا وأنتم في مهل الأنفاس وجدة الأحلاس، قبل أن يؤخذ بالكظم، ولا يغني الندم، وعن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حَلُّوا أنْفُسَكُم بِالطَّاعَةِ وألْبِسُوهَا قِنَاعَ المَخَافَةِ، وَاجْعَلُوا آخِرَتَكُم لأنْفُسِكُم وَسَعْيكُم لِمُسْتَقَرِّكُم وَاعلَمُوا أنَّكُمْ عَنْ قَلِيلٍ رَاحِلُونَ وإلى الله صَائِرُونَ وَلَا يُغني عَنكُم هُنَالِكَ إلّا صَالِحُ عَمَلٍ قَدّمْتُمُوهُ أو حُسْنِ ثَوَابٍ حِزْتُمُوهُ إنَّكُم إنَّمَا تُقْدَمُونَ عَلَى مَا قَدَّمْتُم وتُجَازُونَ عَلى ما أسْلَفْتُم وَلَا تَخْدَعَنَّكُم زَخَارِفُ دُنْيا دَنِيَة عن مَرَاتِب جَنَّاتٍ عَلِيَة»** فكان قد كشف القناع، وارتفع الارتياب، وقر كل امرئ مستقره، وعرف مثواه ومقيله اهـ. من بعض الأربعينيات، ويرحم الله الشيخ الإمام إسماعيل بن المقري اليماني، مؤلف الروض، حيث يقول في قصيدته العجيبة العديمة المثال:

إلى كم تماد في غرور وغفلة وكم هكذا نوم إلى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشتري بملء السماء والأرض أية ضيعة
اتنفق هذا في هوى هذه التي أبى الله أن تسوى جناح بعوضة
أترضى من العيش السعيد بعيشه مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة
فيا درة بين المزابل ألقيت وجوهرة بيعت بأبخس قيمة
أفان بباق تشتريه سفاهة وسخطاً برضوان وناراً بجنة
أأنت عدو أم صديق لنفسه فإنك ترميها بكل مصيبة
ولو فعل الأعدا بنفسك بعض ما فعلت لمستهم لها بعض رحمة
لقد بعتها حزماً عليك رخيصة وكانت بهذا منك غير حقيقة
فويك استقل لا تفضحنها بمشهد من الخلق إن كنت ابن أم كريمة
فبين يديها موقف وصحيفة يعد عليها كل مثقال ذرة

كلفت بها دنيا كثير غرورها ... تعاملنا من نصحها بالخديعة
إذا أقبلت ولت وإن هي أحسنت ... أساءت وإن صفت فثق بالكدورة
ولو نلت منها مال قارون لم تنل ... سوى لقمة في فيك منها وخرقة
وهبك بلغت الملك فيها ألم تكن ... لتنزعه من فيك أيدي المنية
فدعها وأهليها بقسم وخذ كذا ... لنفسك عنها فهي كل الغنيمة
ولا تغتبط فيها بفرحة ساعة ... تعود بأحزان عليك طويلة
فعيشك فيها ألف عام وينقضي ... كعيشك فيها بعض يوم وليلة
عليك بما تجزى عليه من التقى ... فإنك في لهو عظيم وغفلة

انتهى الغرض منها، وهي أكثر، وإنما أتيت بها في هذا المحل لأنها مناسبة له، وهي في غاية الوعظ والتذكرة. نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين. ويقال إن أول ما يرى أهل الجنة في الجنة مكتوباً:

وهذا السرور بتلك الكروب ... وهذا النعيم بذاك التعب
لا راحة قط إلا بعدها تعب ... اتعب تجد راحة تنجيك من تعب

ويقال: إن منازل الجنة تعطى على حسب الأعمال في الدنيا، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له، وقد يعطي سبحانه لمن شاء من عباده في دار كرامته ما لا يخطر بالبال، فضلاً منه وكرماً، إذ هو الفاعل المختار، ولا يسئل عما يفعل، جل وعلا، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك من أراد طريق القوم، فإنه لا يتوصل إلى شم رائحة منه إلا بالجد والعزم، وترك المألوفات والمستحسنات، وقطع العلائق والعوائق، والإعراض عما سوى الله، كما قال الشيخ زروق، رضي الله عنه، وهو أن لا نرى في الوجود إلا أنت وربك **وسئل** الجنيدي، رضي الله عنه: كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى؟ فقال: بتوبة تزيل الإصرار، وخوف يزيل التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل، قيل له: بماذا يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مفرد، فيه توحيد مجرد، **وقال** أبو سعيد الخراز، رضي الله عنه: المعرفة تأتي القلب من وجهين، من عين الجود وبذل المجهود، فإذا علم الله الصدق من عبده، فتح عليه خزائن غيبه، وجعله من أهل قربه وحزبه، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] **واعلم رحمك الله**: أن من كانت له همة علية لا تراه يرضى إلا بالرتب السنية، ويفر مما سوى ذلك كائناً ما كان، لأن قوة النور التي أودع الله في قلبه تحمله على أن يأنف من شيء يراه بالنسبة إلى غيره، أدون فهو أبداً في محل الترقي، وذلك كله من فضل الله على عبده، ومن كانت إرادته مولاه، فاز بالنعيم المقيم، والنظر إلى وجهه الكريم، وتنعم في الدنيا بالمعرفة والإيمان، وفي تلك برفع الحجاب وشهود العيان، وبهذا أخذ سادتنا الصوفية، إذ كانوا أشد اتباعاً لما جاء به نبينا ﷺ، فكانوا على الله مقبلين، وعن سواه معرضين، كما هو شيخنا وإمامنا أبو العباس، رضي الله عنه، فإنه جمع بين علو الهمة وحفظ الحرمة ونفوذ العزمة، وكل من له نسبة صحيحة، فهو على منهجهم القويم سائر، وعلى ما هم عليه من الخلق الحسن دائر، وعلامة الانتفاع وجود الاتباع، فنتيجة علو الهمة تظهر على الظاهر بحسن الخدمة وحفظ الحرمة، ومن شكر النعمة صرفها في طاعة المنعم الدائم، وعلى قدر [أهل] العزم تأتي العزائم، وأن الشيخ رضي الله عنه، ممن بذل المجهود في طاعة المعبود، وممن طلب العلم في بدايته للقيام بطاعته وعبادته، لا ليتوصل به إلى شهوته، بل عمل في بدايته على تصحيح التوبة بشروطها في طريقته بحفظ الشريعة وحدودها، ونفى إرادته، وقطع عن نفسه الحظوظ والعلائق، وانقطع إلى الله بمراعاة حقه، فانكشفت له الحقائق، عمل على نفي الرخص والتأويلات، وشمر عن ساعد بالجد في عموم الأوقات، وقبض عنان الخوض فيما لا يعنيه من المخالفات، وتمسك بالكتاب والسنة، وما درج عليه سلف الأمة، فتوجه بكليته إلى مولاه، فكفاه كل ما سواه، أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان لاشتغاله أولاً: بالعلم والحديث، والقرآن، وتبحر في غرائب العلوم ودقائق الفهوم، وجاهد نفسه بالاستقامة والورع، ويئس من كل مخلوق، ولم يكن له في غير مولاه طمع، وغض طرفه عن الأكوان جملة وتفصيلاً، وانقطع إلى مولاه،

وتبتل إليه تبتيلاً، وتخلق بأخلاق الزهاد والعباد، ولم يشغله عن الله شاغل، وتجرد للخدمة، ونبذ قلبه كل ما هو عاجل، وشأن الصديقين إخلاص الأعمال، وصدق التوجه في كل حال، ونسيان أعمالهم بشهود الكبير المتعال، **وبالجملة**، فالشيخ رضي الله عنه، من أعظم الأئمة في وقته، وممن أجمع العلماء على تعظيمه وتوقيره والاحترام له، من غير مدافع ولا منازع من أرباب الصدق، وإليه انتهت رياسة هذا الشأن، وبه أحدق الأمر في تربية السالكين وتهذيب المريدين، وكشف مشكلاتهم وكشف أحوالهم، ولم يكن أحد في عصرنا يبلغ ما بلغ، فهو شريف الأخلاق لطيف الصفات، كامل الأدب جليل القدر وافر العقل دائم البشر، خوض الجناح كثير التواضع، شديد الحياء متبع أحكام الشرع وآداب السنة، محباً لأهل الصلاح والفضل، مكرماً لأرباب العلم، ولم تزل به قدمه، ولم يمله، فهو متبع، والله أسأل أن يختم لنا بما ختم به لأوليائه، وأن يجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائه، بجاه نخبة أوليائه وخلاصة أصفيائه صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً إلى يوم لقائه.

في أخذ طريق رشده وهدايته

اعلم أن أولى ما تتعلق به المعرفة والدراية، وتجب المحافظة لمكانة والرعاية من أتتك على يديه نتائج الهداية، وواجهتك منه بإذن الله العناية، إذ هو الأب والوالد، وأحق من كل نشب وتالد، حيث كان لك السبب في عدد إيجادات ونيل مدد السعادات، فكان السبب في إخراجك من عدم الجهالة إلى وجود المعرفة، حاله ومن مكان الغفلة والصدود إلى مكانه التوجه والورود، ومن موطن الغواية إلى منزلة الهداية، ومن ظلمات المخالفات والعصيان إلى أنوار المتابعة والرضوان، ومن موقف الجفا والبعاد إلى كنف القرب والوداد، ومن درك القطيعة إلى درجة الوصول الرفيعة، ومن محل الإشراك والأنداد إلى مقام التوحيد والإفراد، فتنقلك من وجود حسي إلى وجود قدسي، ومن وجود نفساني إلى وجود رحماني، ومن وجود كالعدم إلى وجود راسخ القدم، فأنزلك في هذه المنازل المنيفة، وأشرق عليك منه نور الحقيقة، فصرت موحداً حقيقياً، وفزت فوزاً أبدياً فكانت لك الولادة المعنوية أنفع من الأبوة الحية، وأحق منها رعاية، وآكد منها دراسة، وأقرب منها حسباً، وأوصل سبباً كما قال ابن الفارض رضي الله عنه:

نسب أقرب في شرع الهوى ... بيننا من نسب من أبوي

وصارت معرفته أحرى من معرفة أخرى، كما قال الشعراني رضي الله عنه: تعيين الأب لئلا يجهل الابن من النسب، فينتسب أو ينسبه سواه لغير أبيه، فيشمله حديث من انتسب إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن لم يعرف والده في الطريق فهو دعي على التحقيق، ولوجوب معرفة هذا النسب وكون حقه أوكد وأوجب، تجد الأشياخ في كتبهم يتعرضون للتعريف بآبائهم لبيان رتبهم، فيقدمون نسبهم الديني على نسبهم الطيني، إذ ليست الرتبة كالرتبة، ولا القربة كالقربة في الغالب، ثم معرفة قدر شيخ الإنسان علامة على معرفة قدره، وعنوان ودليل على قدر منحه، وقوة حاله وفتحه، إذ على قدر فتح الشيخ يكون فتح المريد، وبحسب قوة حاله وتهذيبه يكون التهذيب والمزيد، ولهذا قال الشيخ الكامل والقطب الشامل، مولانا عبد القادر الكيلاني، رضي الله عنه، مشيراً لهذا المعنى: البيضة منا بألف، والفرخ لا يقوم، ولا سبيل لمعرفة هذه تحصيلاً إلا بالتعرض للتعريف بالشيخ تفصيلاً، فكان التعرض من أجل ذلك للتعريف بأشياخ سيدنا رضي الله عنه أكيداً، ولتمام المعرفة بقدرهم مفيداً، وبسبيل ذلك تأكد التعريف بأشياخه، ليحصل التعريف بقدرهم، فتعرضنا لذلك في هذا الباب، واقتصرنا فيه على ما لا مندوحة عنه، والله الموفق للصواب. فأقول وبالله التوفيق: **فأول** من لقيه من السادات الأعلام زمن انتقاله من بلده إلى فاس وأحوازها، لقي الولي الكبير والقطب الشهير الشريف الأصيل، الوجيه الأثيل، صاحب الكرامات الشهيرة، والمزايا العظام الفاخرة، مولانا الطيب ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم اليملحي العلمي، دفين وزان، من بلاد الهبط من مصمودة، حيث ضريح أبيه وجده وأخيه، مولاي التهامي، وهو شيخه رضي الله عنه وعنهم أجمعين، له صيت عال كبير جداً، تشد لزيارته الرحال من الآفاق البعيدة من الرجال، وزواياه كثيرة في مدن المغرب، وما والاه بالمشرق، وما حواه، فشهرته رضي الله عنه تغني عن التعريف به وبنسبه وبطريقته، رضي الله عنه، **توفي** رحمه الله تعالى ورضي عنه، أواخر ربيع الثاني، عام ثمانين ومائة وألف، ودفن ببلاده وزان رحمه الله، أخذ عنه سيدنا رضي الله عنه، وأذن له في تلقين ورده، فامتنع سيدنا رضي الله عنه من ذلك، لاشتغاله رضي الله عنه بنفسه، ولكونه لم يعرف منزلته في ذلك الوقت رضي الله تعالى عنه، **ولقي** الولي الصالح ذا السعي الرابح صاحب الكشف الصحيح والذوق الصريح، سيدي محمد بن الحسن الوانجلي، من بني وانجل، من جبال الزبيب، فإنه لما ورد عليه سيدنا رضي الله عنه، قال له: قيل أن بكلمه إنك تدرك مقام الشاذلي، وكاشفه بأمور كانت بباطنه، وأخبره بما سيكون منه، وذلك عن باب، وقد ظهر الآن ما بشره به، ولله الحمد، والمنة من الخوارق والكرامات والبوارق، ولم يأخذ عنه سيدنا رضي الله عنه، توفي رحمه الله حدود خمسة وثمانين ومائة ألف، **ولقي** بفاس الولي الصالح،

نجل العارف الرابح، سيدي عبد الله، ابن سيدي العربي بن أحمد بن محمد المدعو ابن عبد الله من أولاد معن الأندلسي رحمهم الله، لقيه وتكلم معه في أمور، ثم لما أراد أن يودعه، دعا له بخير الدارين، وآخر ما افترقا عليه قال له: الله يأخذ بيدك ثلاثاً توفي سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف، وغسلته بيدي، وكفنته وجهزته رضي الله عنه، وكانت له جنازة حضرها أعيان فاس من علمائها وفقرائها ورؤسائها، وصلى عليه بقبره عند آبائه وأجداده، خارج باب الفتوح، قرب قبة القطب الشهير: سيدي أحمد اليمني رضي الله عنه، **ثم أخذ** طريق الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه بفاس على يد من كان يلقن طريقته، ومن له الإذن فيها، ثم تركها بعد حين، ثم أخذ الطريقة الناصرية على الولي الصالح أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله التزاني، ثم تركها بعد حين، ثم أخذ طريق القطب الشهير العالم الكبير أبي العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد الملقب بالغماري السجلماسي الصديقي نسباً على بعض من له الإذن فيها، ثم تركها بعد مدة، ثم لقيه في عالم النوم بعد موته، ووضع فاه على فيه وهو قابض على لسان الشيخ رضي الله عنه، ولقنه اسماً في تلك الحالة، هكذا سمعناه من سيدنا رضي الله عنه، ثم ذكره مدة وتركه، توفي الشيخ المذكور رابع المحرم، عام خمسة وستين ومائة وألف، **ثم أخذ** عن الولي الصالح الملامتي أبي العباس، سيدي أحمد الطواش، نزيل تازي، وبها توفي ليلة ثامن عشر من جمادي الأولى، عام أربعة ومائتين وألف، ولقنه اسماً وقال: الزم الخلوة والوحدة والذكر، واصبر حتى يفتح الله عليك، فإنك تنال مقاماً عظيماً، فلم يساعده سيدنا رضي الله عنه فقال: الزم هذا الذكر، ودم عليه من غير خلوة ولا وحدة، فيفتح الله عليك على تلك الحالة، فذكره سيدنا مدة، وتركه ووقع لنا معه رضي الله عنه كرامات عديدة، وسمعت منه ما ينبئ عن تصريفه في تلك البلدة، وأخبرني بما يصله الشيخ رضي الله عنه من المقامات، حتى رأيناها، والحمد لله وله المنة.

ثم انتقل من المغرب إلى جهة الصحراء، قاصداً زاوية الشيخ: سيدي عبد القادر بن محمد الأبيض، **فأقام** بها مدة كما تقدم، ثم انتقل إلى تلمسان كما تقدم أيضاً، ثم انتقل من تلمسان قاصداً الحج لبيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام كما تقدم، فلما وصل إلى بلد أزواوى بقرب الجزائر، سمع بالشيخ الإمام والعارف الهمام قدوة المتقين وعمدة المحققين، أبي عبد الله سيدي محمد بالفتح بن عبد الرحمن الأزهري، فلقيه وأخذ عنه الطريقة الخلوتية، وكان لهذا الشيخ رضي الله عنه صيت كبير، وأتباع كثيرة، وله زوايا كبيرة، توفي رحمه الله فاتح المحرم، عام ثمانين ومائة وألف، فلما دخل تونس عام ستة وثمانين ومائة وألف، لقي بعض الأولياء بها منهم: الولي الشهير صاحب القدر الكبير، سيدي عبد الصمد الرحوي، وكان تحت ولاية غيره، وهو قطب تلك البلدة، وكان صحبته رابع أربعة، ولم يلاقوه إلا ليلاً، لستره على حاله في ليلة الجمعة وليلة الإثنين، قال الشيخ رضي الله عنه: طلبت من سيدي عبد الصمد ملاقاة هذا السيد رضي الله عنه، فامتنع متعللاً بعدم ملاقاة أحد أصلاً، فبعث له محبوباً مع صاحبه، فقال له ذلك الولي المحبوب: بعث محبوباً **فأقام** سنة كاملة، بعضها بتونس، وبعضها بمدينة سوسة، فدرس بتونس كتاب الحكم وغيره، فأرسل له أمير البلد أن يقيم عنده بتونس لقراءة العلم وتدريسه، والقيام بأمر الدين وتدريسه، ونفذ له داراً ومسجد الزيتونة للقراءة، وعيّن له مرتباً عظيماً، فلما قرأ كتاب الأمير مسكه وسكت، ومن الغد تهيأ للسفر في البحر لمصر القاهرة قاصداً الحج، وعازماً على الأخذ عن الشيخ محمود الكردي، واستسلام القيادة له والسلوك بطريقته والسير بسيرته لرؤيا رآها هنالك، فبعث لذلك الولي خديمه سيدي: عبد الصمد، وقال: قل له: إني أردت السفر في البحر لمصر القاهرة، واطلب منه الضمان في البحر من كل ما يروع البال، وما يشوش الحال فساعفه على مطلوبه، وقال له: أنت مضمون ذهاباً وإياباً، فعند ذلك ركب في البحر وتوجها لمصر، فحفظه الله إلى أن بلغ بالسلامة والعافية لمصر القاهرة، فسأل عن الشيخ الهمام العالم الإمام المشارك النبيل المحدث الصوفي الجليل، ذي الفكر الصائب والذهن الثاقب، الفاضل المنيف الأعزف الزاهد العفيف حجة الإسلام، وقدوة الأنام العارف الكبير الولي الشهير، طود المعرفة الشامخ، المتمكن الراسخ، الكامل العرفان، والاتباع الموصل المربي النفاع، أبي الفضائل سيدي: محمد الكردي المصري داراً وقراراً العراقي أصلاً ومنشأ رضي الله تعالى عنه، وأفاض علينا من بركاته آمين، فلما ورد عليه سيدنا رضي الله عنه، أول ملاقاته قال: أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة، قال سيدنا رضي الله عنه: من أين لك هذا؟ قال له: من الله، فقال له سيدنا رضي الله عنه: رأيتك وأنا بتونس، فقلت لك: إني نحاس كل ذاتي، قلت لي: هو كذلك، وأنا أقلب نحاسك ذهباً، فلما قصها عليه قال له رضي الله عنه: هو كما رأيت، ثم قال له بعد أيام: ما مطلبك؟ قال له:

مطلبي القبطانية العظمى، قال له: لك أكثر منها، قال له: عليك، قال نعم: فأخبره رضي الله عنه عن نفسه، وما وقع له في سياحته، وسبب ملاقاته مع شيخه الحنفي، وشيخ شيخه الشيخ، مولانا: مصطفى البكري الصديقي رضي الله عنهم أجمعين، فتهيأ سيدنا رضي الله عنه للسفر لبيت الله الحرام في البحر، فودعه الشيخ، ودعا له وضمنه في سفره في الذهاب والإياب، فلما بلغ إلى مكة المشرفة، زادها الله علواً ورفعة وشرفاً ومكانة، في شوال سنة سبع وثمانين، بتقديم السين على الباء، ومائة وألف، فبحث هنالك عن أهل الخير والصلاح والرشد والفلاح، كما هي عادته رضي الله عنه، ليحصل كمال الطلب والنجاح، فسمع بالشيخ الإمام الحبر الهمام بدر التمام ومسك الختام وشمس الأنام وقمر دارة الأعلام، أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الله الهندي، قاطن مكة المشرفة، رضي الله عنه، أخذ رضي الله عنه علوماً وأسراراً وحكماً وأنواراً من غير ملاقاة له، إنما كان يراسله مع خادمه، وهو الواسطة بينهما، لأنه لم يكن له إذن في ملاقاة أحد أصلاً بعد طلب سيدنا له بملاقاته، فأجابه بأنه لا إذن له في ملاقاة أحد أصلاً، وانتفع سيدنا على يديه وأخبره بما يؤول إليه أمره، وقال له: أنت وارث علمي وأسراري ومواهبي وأنواري، فلما كتب له ذلك، قال لخادمه: هذا الذي كنت أترجاه، قل له وهو وارثي، فقال له خادمه: هذه مدة ثمانية عشر عاماً وأنا أخدمك، والآن أتى رجل من ناحية المغرب، تقول لي هو وارثي! فقال له: لا أترجى إلا هو، وهذا ليس لأحد فيه اختيار، يختص برحمته من يشاء، ولو كان الاختيار لي لنفعت بذلك، ولدي به قبلك منذ زمان، وأنا أترجى وأترقب له في الغيب نفعه بشيء، لم يرده الله به، حتى أني صاحبه، فكتب لسيدنا حينئذٍ وقال له: بحقي عليك إلا ما فعلت مع ولدي خيراً، وأخبره بأنه يموت في عشرين من شهر ذي الحجة الحرام، فكان كما قال رحمه الله ورضي عنه، فلما دفن، دعا ولده شيخنا، ودخل معه للبيت، ومكنه من السر حفظاً لأمانة الشيخ وللوفاء بعهده، وكان قبل موته، رضي الله عنه، أعطى لسيدنا سراً كبيراً، وأمره أن يذكره سبعة أيام، فيفتح عليه، لكن يعتزل الناس ولا يراه أحد قط بعد هذا العمل، فلم يفعل سيدنا رضي الله عنه بهذا الشرط المذكور، حين دنا الرحيل لعرفة، قال سيدنا رضي الله عنه في رسالته، طالباً منه الملاقاة: لأن أوان الفراق قد دنا، لينظر طلعته البهية، وما وفى، فقال له: أذن لي في الملاقاة، ولكن تلتقي بالقطب بعدي، بكفيك عني، يشير له إلى ملاقاته بالشيخ السمان، وأخبره بأنه لا بد له من بلوغ مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، كما أخبره بذلك سيدي: محمد بن الحسن المتقدم ذكره، وأخبره بأمور عديدة، وهو المعتمد عند سيدنا في العلوم والأسرار والخواص والأنوار، **توفي** رضي الله عنه عام سبعة، بتقديم السين على الباء، وثمانين ومائة وألف، ولما قضى نسكه، وكمل حجه المبرور وسعيه المشكور، ارتحل للمدينة المنورة لزيارة النبي المبرور، فلما بلغ لمدينة رسول الله ﷺ، وشرف وكرم ومجد وعظم، توجه لزيارة القبر الشريف، وما أودع الله فيه من السر المنيف، فدخل بهيبة ووقار وإعظام وإكبار، فأعطى للمقام ما يناسب قدره العظيم من الآداب والإجلال والتذلل والخضوع العميم، فلما قضى زيارته وكمل الله أمنيته ورغبته، التفت إلى ملاقاة القطب الشهير والعالم الكبير صاحب الكرامات الباهرة والإشارات الفاخرة، أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الشهير بالسمان، رضي الله عنه، فلما لاقاه، أخبره بحاله وما يؤول إليه في عاقبة مآله، فطلب منه الشيخ المذكور أن يقيم عنده سيدنا، ويدخله الخلوة ثلاثة أيام، ويصبغه صبغة تامة، فتعلل له سيدنا بعدم الإقامة لعذر قام به، فأذنه الشيخ المذكور بعد طلب سيدنا له في جميع الأسماء والمسميات، وأخبره رضي الله عنه، بأنه هو القطب الجامع، وقال لسيدنا: أطلب ما شئت، فطلب منه سيدنا أموراً، فساعده على ذلك، ثم رجع لمصر القاهرة مع ركب الحجيج بالسلامة والعافية، فوصل إليها محفوظاً بالكرامة والعناية الربانية، فذهب لزيارة شيخه، يسلم عليه من قدومه من حجه وزيارته، فسلم عليه ورحب به وأجلسه بين يديه، وأمره بالتردد في كل يوم إليه، فكان رضي الله عنه يلقي الأمور المشكلة على سيدنا، ويطلب منه حل إشكالها من علوم سيدنا، فلم يزل كذلك حتى ظهرت علوم سيدنا الغزيرة، وأحدقت به علماء مصر لإفادتهم من علومه الغزيرة، ثم عند انتقاله للمغرب، أذن له شيخه الشيخ محمود المذكور في طريقته الخلوتية والتربية بها، فامتنع، فقال الشيخ: لقن الناس والضمان عليَّ، فقال له: نعم، فكتب له الإجازة وسند الطريق، **ولنذكر** سنده للتبرك به على التحقيق، فأقول وبالله الإعانة والمدد والتوفيق، كما قال رضي الله عنه، لقن رب العزة جبريل عليه السلام، وهو لقن النبي ﷺ، وهو لقن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو لقن ابنه الحسن والحسن البصري وجميل بن زياد، والحسن البصري لقن حبيباً العجمي، وهو لقن داود الطائي، وهو لقن معروفاً بن فيروز الكرخي، وهو لقن السري بن المغلس السقطي، وهو لقن الجنيد بن محمد سيد الطائفة

البغدادية، وهو لقن محمد البكري، وهو لقن وجيه الدين القاضي، وهو لقن عمر البكري، وهو لقن أبا النجيب السهروردي، وهو لقن قطب الدين الأبهري، وهو لقن ركن الدين محمد النجاشي، وهو لقن شهاب الدين محمد الشيرازي، وهو لقن جمال الدين التبريزي، وهو لقن إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو لقن محمد الخلوتي، وهو لقن عمر الخلوتي، وهو لقن محمداً أبرم الخلوتي، وهو لقن الحاج عز الدين، وهو لقن صدر الدين الجياني، وهو لقن سيدي يحيى الباكوبي، وهو لقن محمد بن بهاء الدين الشرواني، وهو لقن جلبي سلطان القمدس الشهير بجمال الخلوتي، وهو لقن خير الدين النقادي، وهو لقن الشيخ شعبان القسطموني، وهو لقن محيي الدين القسطموني، وهو لقن سيدي عمر الفؤادي، وهو لقن وأرشد الشيخ إسماعيل الجرمي المدفون بالقرب من مرقد سيدي بلال الحبشي رضي الله عنه بديار الشام، وهو لقن وأرشد الشيخ علي أفندي قرا باشا، وتخلف عن والده الشيخ مصطفى الطبيبي، أي هو الذي أجازه بالإرشاد، وهو لقن وأرشد الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديق، وهو لقن وأرشد الشيخ الحفني، وهو لقن وأرشد الشيخ محمود الكردي، وهو لقن قطب زمانه فريد عصره وأوانه شيخنا وقدوتنا إلى الله، مولانا أبا العباس أحمد بن محمد التجاني، وهو لقن أبا عبد الله الشريف محمد بن محمد بن المشري السائحي، ولقن العبد الفقير إلى مولاه الغني الحميد جامع هذا الكتاب المجيد، أدرجنا الله في سلكهم، وأماتنا على حبهم، وحشرنا في زمرتهم، وأدخلنا مدخلهم، وأحلنا محلهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

فلما ودعه، وقفل إلى ناحية تونس، فوصل إليها بالسلامة والعافية، وانتقل منها إلى تلمسان، وأقام بها مجتهداً في العبادة والدلالة على الله، ثم سافر إلى مدينة فاس، بقصد زيارة مولانا إدريس، سنة إحدى وتسعين ومائة وألف، وفي هذه الرحلة المباركة، لقيته رضي الله عنه بمدينة وجدة، قافلاً لفاس، فقفلت معه، وتعرف لي، وقد كنت رأيت، قبل هذا الوقت بعامين، رؤيا تدل على صحبته والأخذ عنه، فبعد يومين أو ثلاثة، تعرف لي، وذكر لي الرؤيا بعينها، وقد كنت نسيتها، وقال لي: أما تخاف من الله وتتبعني من مكاني إليك؟ فلا حاجة لي إلا ملاقاتك، فاحمد الله على ذلك، فحمدت الله وشكرته، وعلمت أن الله تفضل علي، وأنه هو الكفيل لي والمتولي أموري بتصريح منه، رضي الله عنه، فأخبرني بما يؤول إليه أمره من الفتح والتمكين، فلما وصلنا إلى فاس، أقام بها مدة بقصد زيارة مولانا إدريس، فلقنني الطريقة الخلوتية، وأسراراً وعلوماً، ورجع إلى تلمسان، وأخبرني بأنه ينتقل من تلمسان إلى مكان آخر، لأن حاله لم يستقم بها، وضاعت نفسه، فودعته، وقال لي: إلزم العهد والمحبة حتى يأتي الفتح، إن شاء الله تعالى، فلما وصل إلى تلمسان، أقام بها مدة وارتحل إلى ناحية الصحراء سنة ست وتسعين ومائة وألف، ونزل بقرية القطب الكبير، سيدي أبي صمغون، ثم سافر منها إلى بلاد أتوات بقصد الزيارة، فلقي بعض الأولياء بها، وأخذ عنهم بعض الأمور الخاصة، واستفادوا منه علوماً وأسراراً في الطريق، ثم رجع إلى قرية أبي صمغون وأقام بها واستوطن، وفيها وقع له الفتح، وأذن له ﷺ في تلقين الخلق بعد أن كان فاراً من ملاقاة الخلق لاعتنائه بنفسه، وعدم ادعاء المشيخة، إلى أن وقع له الإذن منه يقظة لا مناماً بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعين له الورد الذي يلقنه في سنة ست وتسعين ومائة وألف، عين ﷺ الاستغفار والصلاة عليه ﷺ، وهذا كان هو أصل الورد في تلك المدة إلى رأس المائة، كمل له الورد ﷺ بكلمة الإخلاص، فعند هذا تنزل للخلق والإفادة وإظهار الطريقة والاستفادة، وهذا بعد إخباره له بعلو مقامه وارتفاع قدره ومكانه، وأخبره عليه الصلاة والسلام بفضل هذا الورد وقدره، وما أعد الله لمن أحبه من أتباعه وحزبه، وسيأتي هذا إن شاء الله مبيناً مفصلاً في بابه، ولما أذن له ﷺ في هذه الطريقة الأحمدية والسيرة المصطفوية النبوية، وفتح الله على يديه ﷺ، وأخبره أنه هو مربيه وكافله، وأنه لا يصله شيء من الله إلا على يديه وبواسطته ﷺ، وقال له: لا منة لمخلوق عليه من أشياخ الطريق، فأنا واسطتك وممدك على التحقيق، فاترك عنك جميع ما أخذت من جميع الطرق، وقال له: الزم هذه الطريقة من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة، واترك عنك جميع الأولياء، فمن حين قال له ﷺ هذه القولة، ترك جميع الطرق، واترك الطلب من جميع الأولياء رحمك الله، هذا الاعتبار بشيخنا رضي الله عنه، وهذا المحبة والخصوصية من سيد الوجود ﷺ، وهذا يدل على أن لسيدنا رضي الله عنه مرتبة عظيمة عند الله تعالى، كما أخبره بها سيد الوجود ﷺ في غير ما

مرة، وذلك أن من كان وصوله على يديه، وفتحه، كان مقامه أعلى وأجل وأرفع، كما هو معلوم عند أهل الطريق، وكان أصحابه أعظم قدراً في الغالب من أصحاب غيره من الأشياخ رضي الله عنهم، كما أشار إليه مولانا عبد القادر الجيلاني في قوله الذي قدمناه، وهو البيضة منا بألف، الخ مشيراً بهذا لأصحابه، لأن فتحه ووصوله كان على يديه ﷺ، ومن كان فتحه ووصوله على يديه ﷺ، كان أرفع قدراً وأعظم شأناً، وهذا الفتح والفيض منه ﷺ، وقع على رأس المائة الثانية بعد الألف بأبي صمغون والشلالة، ومن ذلك الوقت والحمد لله تترادف عليه الأنوار والأسرار والتجليات والترقيات وكمال الأنوار، فمن ذلك الوقت والوفود ترد عليه من جميع النواحي والأقطار للأخذ عنه والزيارة وأخذ الأسرار، **ومن جملة فيوضاته**: ما تلقيناه من إملائه علينا من حفظه ولفظه، وسيرد عليك إن شاء الله في هذا المجموع المبارك في محله، ما ستقف عليه، مما يبهر العقول ويتمحق فيه المعقول والمنقول، وبقي سيدنا رضي الله عنه على هذه الحالة من ذلك الوقت في تلك البلدة، ونحن نتردد عليه المرة بعد المرة، وقدمنا لزيارته لتلك البلدة في شهر رمضان من سنة ثلاثة أعوام ومائتين وألف، وفي كل مرة نسمع منه ما لم نسمعه في التي قبلها من العلوم والأسرار، ولم أزل أقيد ما سمعته منه، ويمليه علينا من حفظه ولفظه، ثم انتقل من بلاد الصحراء المذكورة في السابع عشر من ربيع الأول النبوية، سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف، ودخل بفاس السادس من ربيع الثاني من العام المذكور، ونحن معه من أبي صمغون، إلى أن وصلنا لفاس، واستفدنا في سفرنا أموراً لا نحصيها من أحوال سيدنا رضي الله عنه، التي لم يطلع عليها أحد، وشهدنا في ذلك السفر من خوارق العادات مما ستقف عليه إن شاء الله في محله من باب الكرامة، وقد شب حاله، واكتمل، وعلى ما أهل له من المعارف الربانية اشتمل، فأشرقت بمقدمه الكريم بقاع الأرض، وعمت البركة القطر المغربي بالطول والعرض، ولكن انبهم ذلك في طي خموله، وانكتم وستر إلا عن أهل الخصوص، إلى أن اكتمل أمره، وتم ولو انكشف الحجاب الحائل، وعلم ما إليه أمره آيل، لأنشد مغتبطاً بقدومه كل إنسان وكل جارحة منه، لو أمكنه ذلك لسان.

عدتم فعادت ليالي الوصل أعياداً ... من قربكم ولذيذ الأنس قد عادا
أبنتم الصبر ما إن بنتم فأنا ... لأجل ذاك أرى الإغواء إرشادا
واليوم سامحني دهري بوصلكم ... وصالح الصلح وفي بعد أن عادا
لا أوحش الله عيني من جمالكم ... يا نورها لأقضي الدّهر إسعادا

ولمّا مضى شهران بفاس، أمرنا رضي الله عنه بجمع هذا التأليف بأمر من سيد الوجود ﷺ، مؤكد لا ينبغي تركه بعد أن كان أمرنا، رضي الله عنه، بتمزيق ما جمعناه منه لسبب اقتضاه الوقت والحال، حتى تفضل الحق علينا الكبير المتعال بأمره، من سيد الرجال ﷺ، لا يسعه تركه ولا ينبغي إلا جمعه، فقد قال له سيد الوجود بعد أمره له بجمعه: تحفظ عليه لينتفع به من الأولياء بعدك بحفظه، فأمرنا رضي الله عنه بكتابته وجمعه وحفظ ما شرط من مسائله، ففرحنا بهذه البشارة غاية الفرح والسرور، وقد كان عندنا قبل من أعظم ما يدخر في الأعصار والدهور، وكنا قبل هذه المدة، حين مزق في غاية النكد وعدم السرور، إلى أن تفضل الله علينا بكمال الفرح والسرور، فشرعنا في كتابته وجمع مسائله ومحاولته، نسأل الله التمام، بجاه بدر التمام، عليه أفضل الصلاة والسلام، **ولنختم** هذا الباب بمبشرات ظهرت لشيخنا في أول عمره، تدل على علو شأنه ورفع قدره ومكانه، ولا رأى رؤيا إلا وقعت ولو بعد حين، كما أخبر بها رضي الله عنه، لأن رؤيا الإنسان الصادق تدل على ما ينتهي إليه أمره في الغالب، كما قالت سيدتنا عائشة الصديقة رضي الله عنها: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**» الحديث، فمن مرائي شيخنا رضي الله عنه، التي تدل على ما ينتهي إليه أمره، قال رضي الله عنه: رأيت وأنا صغير، قبل البلوغ، كأنه انتصب لي كرسي المملكة، وأنا جالس عليه، ولي عساكر كثيرة، وأنا أصرفها في قضاء الحوائج، كأني ملك، وهذه الرؤيا رآها بعين ماضي، وقال أيضاً: رأيت رؤيا تدل على حالي كله، وذلك أني رأيته ﷺ راكباً على حصان، فقلت، وأنا ذاهب نحوه: إن سلمت عليه وهو فوق الحصان لم أدرك مرادي إلا بمشقة، وإن سلمت عليه غير راكب، فأدرك مرادي من غير تعب، فلما وصلته ﷺ، نزل من فوق الحصان وسلمت عليه، فهكذا وقع في خاطري في ذلك النوم، فلما سلمت عليه، دخل إلى بستان رجل من عين ماضي، وأحرم يصلي، فلما أردت أن أحرم معه، بينما أنا في استحضار النية، ولم أحرم حتى ركع وسجد ﷺ، فأحرمت معه

في الثانية، فكملتها معه إلى أن سلم، فأولتها أنا في ذلك الحال بأن نصف عمري يضيع، ولم أدرك فيه شيئاً، ونصفه الآخر أدرك فيه مرادي، فكان الأمر كذلك. فله الحمد والمنة.

وقال أيضاً: رأيت نفسي في صورة ملك، وعقد لي الناس البيعة، ومعي خلق كثير، ونصبوا لي كرسي الخلافة على سطح مرتفع وعليّ لباس الملوك، فلما حانت الصلاة، وهي صلاة الظهر، أردت أن آمر أحداً من الناس يصلي بنا، على عادتي في اليقظة، فتفكرت، وقلت: الخليفة هو الذي يصلي بالناس، فتقدمت وصليت بالناس، حتى أتممت الصلاة وسلمت، فقصها على بعض الأحباء، فقال له: وأظن أن الله سبحانه وتعالى أراد بي القطبانية، وأنا أريد غيرها، فكان في ذلك الوقت يطلب عند الله أن يكون أحد مفاتيح الكنوز، لما رأى من علو مرتبتهم، ثم بعد ذلك صرف همته لطلب القطبانية، لما رأى من الخصوصية التي للقطب، لم ينلها غيره، وإن بلغوا ما بلغوا في الارتقاء، فأعطيها والحمد لله، **وقال أيضاً**: رأيت سيدي: أبا مدين الغوث في النوم في مجمع، وهو يقول: من يأتي لنا بشيء نعطيه الحاجة التي طلبها، قلت له: ها أنا أعطيك أربعة مثاقيل، واضمن لي القطبانية العظمى، قال: نعم، وأنا أضمنها لك، لم تمت حتى تدركها، ومما يؤيد هذه الرؤيا، أن الشيخ رضي الله عنه، لقي رجلاً يلاقي الروحانية يقظة، ويخبرونه بما أراد، فقال له سيدنا: إني أضمرت لك حاجة فما هي؟ ولم يسمها له، فلما حضروه، وقال لهم ما حاجة فلان؟ قالوا له: سألك عن القطبانية، قال: فحضر معهم رجل، وقال لهم: من قال لكم تتكلموا في هذا الأمر؟ قالوا له: صاحبه هو الذي سألنا، قال لهم: هذه القطبانية أنا ضمنتها له، حين كان بتلمسان قبل أن يشرق، لم يمت حتى يدركها، فلا تدخلوا فيها، لا أنتم ولا غيركم، والرجل المذكور هو الشيخ سيدي أبو مدين، رضي الله عنه، والمسؤول لم يتلاق مع الشيخ أبداً، إلا في ساعة السؤال، ولا خبرة له بالرؤيا أصلاً، فدل خبره على صحة هذه الرؤيا المتقدمة، وإنها حق لا وهم فيها، وقص رضي الله عنه مرائي تدل على ولايته ومعرفته وقطبانيته، ومرائيه كلها صادقة كفلق الصبح، فما رأى رؤيا وقصها إلا وهي كفلق الصبح، منها ما قدمناه، ومنها ما سنذكره، إن شاء الله، وقال رضي الله عنه: رأيته ﷺ بتونس، قال لي: ادع بالمعرفة أو بمرادك، وأنا أؤمن على دعائك، فدعوت، وأمن ﷺ، ثم قرأ سورة والضحى، فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] رمقني ببصره الشريف، وكمل السورة ﷺ.

ومنها: أنه قال: رأيته مرة ﷺ، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام، قلت له: وردت عنك روايتان صحيحتان: واحدة قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين، وقلت في الأخرى: يمكث سبعاً، ما الصحيحة منهما؟ قال ﷺ: رواية السبع، **ومنها**: أنه قال رضي الله عنه، رأيت المصطفى ﷺ، وسألته عن الزكاة التي يأخذها الأمراء والظلام من المسلمين كرهاً، هل تكفيهم، قال ﷺ: أو أنا أمرتهم بطاعتهم؟ قال الشيخ، رضي الله عنه، قلت: الذي يمكنه إعطاؤها لغيرهم، ولم يلحقه ضرر منهم، قال ﷺ: إن أعطوها فعليهم لعنة الله، **ومنها** أنه قال: كنت أتحرج، وأشدد غاية في الماء المتغير من أثر الوضوء، بل ولا أتوضأ منه حتى رأيته ﷺ يتوضأ في إناء، وكان الماء متغيراً من أثر الوضوء، وقال لي محمد رسول الله ﷺ، فمن ذلك تركت التحرج، ورحت منه، **ومنها** أنه قال: رأيت سيدنا موسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، قلت له: إن قارون بلغنا أنه رأى المحمل الذي كتبت فيه الاسم الأعظم، ورميته في البحر لإظهار قبر سيدنا يوسف عليه السلام، فأخذ قارون ذلك المحمل المكتوب فيه الاسم الأعظم، وصار يرميه على مواضع الكنوز، فتظهر له، ومنه نال ما نال من كثرة الأموال، قال لي: نعم! قلت له: هل للعارف اختيار في الفعل والترك، قال: لا، إلا إذا بلغ مقام كذا، ولم يسم لنا الشيخ، رضي الله عنه، هذا المقام بعينه، فانظر رحمك الله أحوال هذا الشيخ مع صفوة الله من خلقه، فصار نومه كيقظته، يسأله فيه عن مراده، وهذه أحوال الرجال لغلبة حكم الروح على الذات، لأن الروح أصلها الطهارة والصفاء، نسأل الله تعالى أن يكتبنا جميعاً في زمرة خلاصة أصفيائه وأحبائه، وله مرائي كثيرة، فهذا الذي حضرنا منها، كان يراها في ابتداء أمره، وأما الآن، فلا يذكر شيئاً إلا نادراً، وهذه المرائي المتقدمة لشيخنا، قبل أن يخبره سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناماً، وأما اليوم، والحمد لله، فأخبره بنزول مقامه، وما أعد الله له فيه الذي لم يقدر أحد أن يفوه به، فضلاً عن إدراكه، وضمنه له ﷺ، وضمن له كلما طلب، حتى من أمور الدّنيا، كما سيأتي بيانه مفصلاً، إن شاء الله في محله، نسأل الله بجاه نبيه وصفيه أن يكتبنا في ديوان خلاصة، أهل محبته ووداده، وأن يوفقنا على محبة هذا السيد الكريم، وعلى سنة نبيه العظيم آمين.